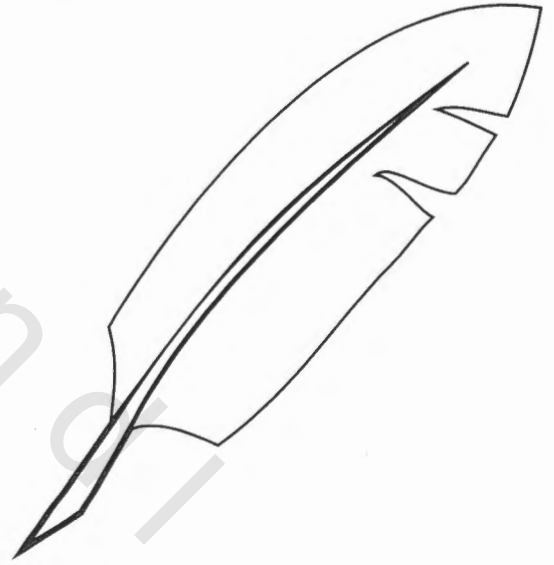
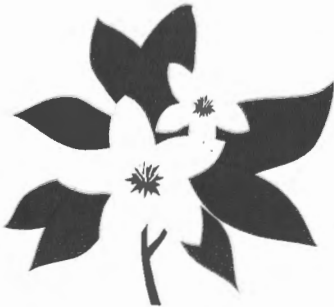


أبو راس الناصر

عالم عصره



ع. بنت المعمورة



منشورات وزارة الثقافة
الجزائر



سلسلة أدب الفتوة

تحت إشراف:
د. ربيعة جلطي

الإخراج الفني:
عبد الرحمان دحماني

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

2005





استهلال:

أبو راس الناصر شخصية عظيمة في تاريخ الجزائر الثقافي، تركت بصمات خالدة وأثارا واضحة في مدينة معسكر التي امتدت جذورها عبر التاريخ، من خلال علمائها وأبطالها. إن كل من يطالع ويكتشف حياة أبو راس الناصر، يصاب بالدهشة والاعجاب، بأعمال هذا العالم الجليل الذي كان هو وغيره من الكتاب والباحثين كالمنازل الفكرية في الجزائر، والذي نقدّمه للفتيان والفتيات في هذه الصفحات المشرقة.

المؤلفة



مهد أبو راس الناصر

معسكر.. مدينة الماء والخضرة.. مدينة العلم والعلماء والشهداء
والأبطال.

وأنت تجوب شوارعها الواسعة تلتفت إليك مع كل إشراقة صبح
جميل.. باسمه الثغر.. تَحْضُنُ أبناءها وترعاهم بحب واعتزاز.. تشيد
وتَفْخَرُ بسهولها، كسهل غريس ووديانها كوادي تافنة وأسوارها



وأطلالها، وبشموخ الجبال وكبرياء الشهداء.. تنظر إلى الماضي
البعيد المجيد بحب وافتخار.. ماضٍ اختزلته آثارها في مسجد المبايعه
(العين البيضاء) والشجرة المباركة (الدردارة) والزوايا القرآنية في كل
شبر من أرضها المباركة صورة للأولياء الصالحين.
إذا سألت معسكر عن رجالها الأفذاذ وأبطالها الشجعان وعلمائها
الأجلاء وشعرائها الملهمين.. تجيبك بطيبة أهلها قائلة:



— من منكم لا يعرف أول رجل صنع أركان الدولة الجزائرية.. رجل
الشعر والسيف والقلم والحب.. رجل الحوار بين الديانات
والحضارات.. بطل المقاومة الجزائرية الأمير عبد القادر.
وإذا سألتها عن شعرائها الملهمين وكتابها المبدعين تجيبك بكل
حب قائلة:

— بن عبيدة معمر، وبن سعدون شريف آمنة وغيرهم كثير.



وإذا سألتها عن شهدائها البررة تقول:
— الشهيد البطل مكيوي المأمون (سي عبد الزحمان) وغيره
من الشهداء الأبرار.

وإذا سألتها عن علمائها الأجلاء تحيبك:

— انظر إلى تلك الروابي والشعاب والوهاد التي أنجبت قلوباً طيبة
وعقولا نيرة. أمثال الطفل النابغة أبو راس الناصر، الفتى راعي
الغنم، الشاب الفقيه، العالم شيخ المؤرخين.. والقائمة تطول وتطول.

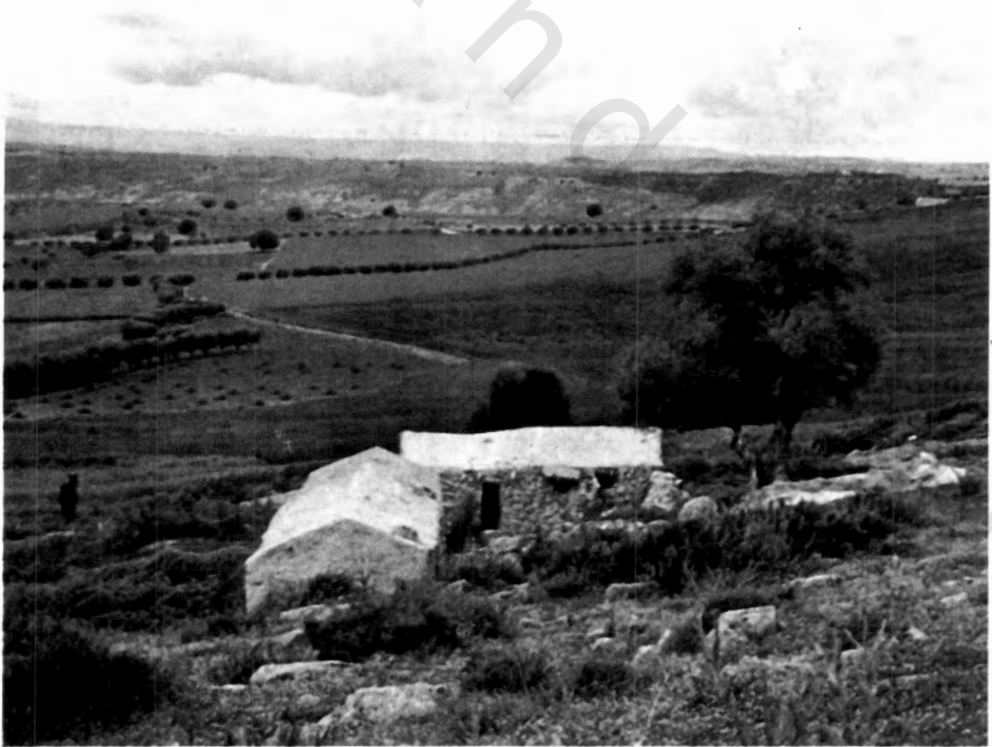


المولد والنشأة:



هو محمد بن أحمد بن عبد القادر أبو راس
الناصر من مواليد 1165 هجري نواحي
جبل كرسوط (بالغرب الجزائري).
ولد في بيئة فقيرة وفي بيت كريم يعرف
قيمة العلم والعلماء..

كان متوسط القامة.. نحيف الجسم.. أبيض البشرة.. خفيف
اللحية.. صغير العينين.. طويل الأنف.. كبير الرأس..





كان أبوه مُعلم القرآن الكريم، وأمه "زولة" التي يقول عنها "إنها كانت كرابعة العدوية علما وورعاً".





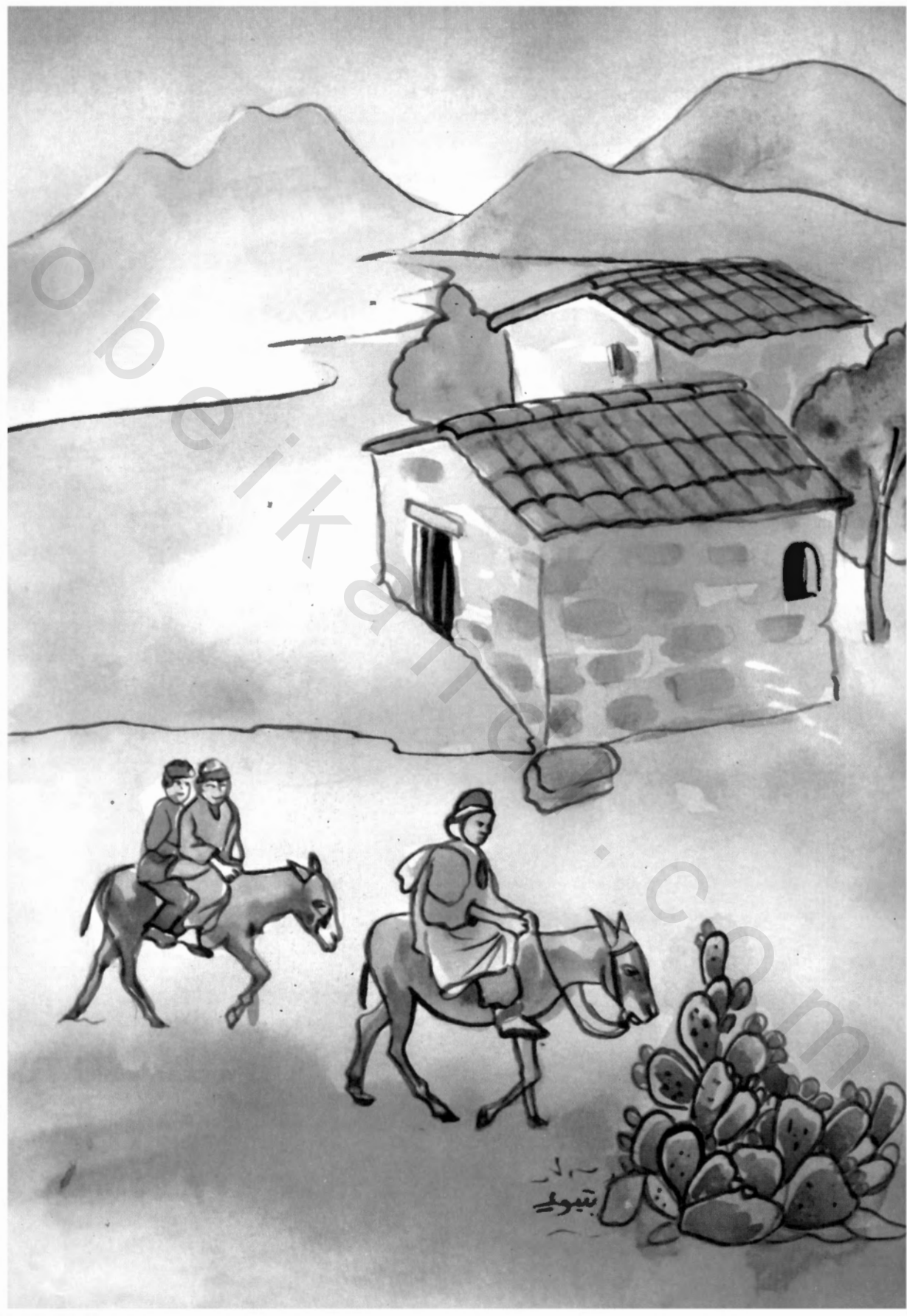
رحل رفقة والديه إلى نواحي متيجة قرب مدينة الجزائر، وهناك
عرف عن قرب الحكم العثماني.



وبعد وفاة أمه وهو صغير أخذه والده معه نواحي بحاجة، لكن
شاءت الأقدار أن يتوفى هو الآخر ويعيش الفتى "أبو راس الناصر"
اليتم والحرمان والفقر.

ثم رحل رفقة أخيه الأكبر عبد القادر إلى المغرب وهناك حفظ
القرآن الكريم..





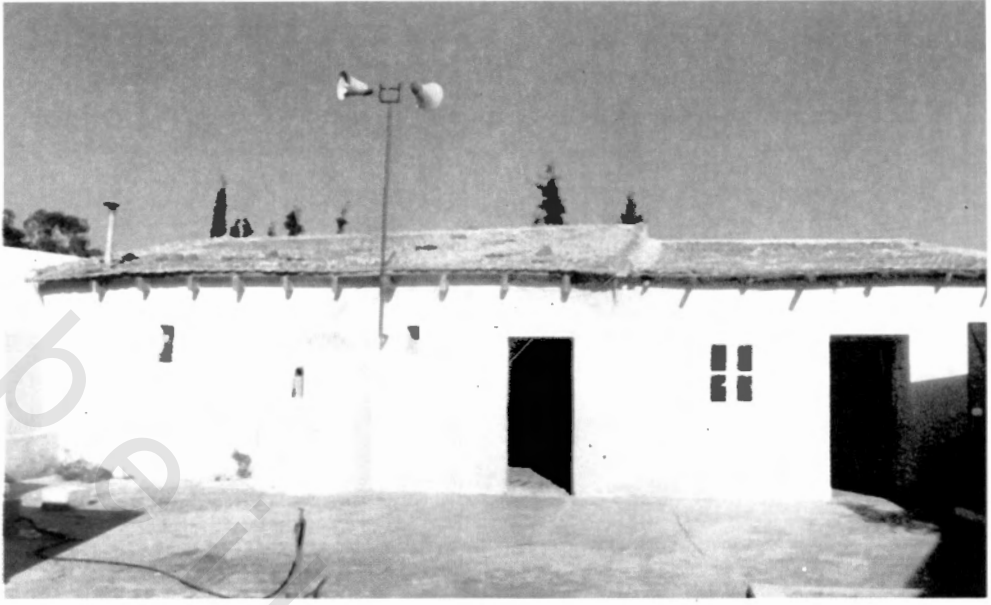
عودته إلى معسكر:

عاد إلى مدينة معسكر وتلمذ على يد الشيخ عبد القادر المشرفي الذي اشتهر بالمنطقة وتأثر به كثيرا..

عاد يحمل أحلامه وطموحاته وروحه التواقية لاكتساب العلم ونشر المعرفة، وكانت معسكر لفترة طويلة عاصمة للإقليم الغربي، حيث اكتسبت سمعة كبيرة أثناء حكم الباي محمد الكبير فاتح وهران.



مدينة وهران



إذ اشتهرت المدينة بالعديد من العلماء، أمثال بوجلال والطاهر بن حوا، ومحمد بن زرفة، ومحمد الشارف، والشيخ الرماصي القلعي، وعبد القادر المشرفي الذي يعتبر المربي والموجه والمرشد للعلامة أبو راس الناصر، وشهدت مراكز التعليم حركة نشطة في آخر القرن الثاني عشر الهجري (18م)، كما اشتهرت المدينة بزاوية القيطنة القريبة منها، والتي كان على رأسها الشيخ "محي الدين" والد الأمير عبد القادر.. واشتهرت كذلك بالمدرسة المحمدية التي تحمل اسم الباي محمد الكبير، وبقصر الباي.

بعد التكوين والتفوق وبعد مسيرة طويلة وشاقة حافلة بالنشاط
والعلم قرّر العودة إلى الريف ثم الزواج..



تعليمه:

تلقى العلم على مشائخ كثيرين في مدينة الجزائر سنة 1214
وقسنطينة سنة 1204 و1226 وزار المغرب سنة 1216 (تطوان،
فاس) وقد حضر مجلس السلطان سليمان الذي أهداه مجموعة
من مؤلفاته، ومن خلال رحلاته إلى الحج توطدت علاقته الوثيقة

بعلماء تونس التي كانت معبرا للعلماء الجزائريين في رحلاتهم إلى الحج
وفي المشرق زار (مصر وسوريا وغزة والقدس...).



أساتذته:

من مشائخه "أحمد بن عمار" مفتي مدينة الجزائر و"محمد مرتضى
الزبيدي" الذي خصّه بكتاب سماه (السيف المنتضى فيما رويته
بأسانيد الشيخ مرتضى).



تلاميذته:

تخرج على يد العالم الفقيه "أبو راس الناصر" العديد من الطلبة
أبرزهم "أبو حامد المشرفي" الذي له العديد من المؤلفات في التاريخ
والأدب والرحلات.



أحداث عصره:

عاصر وعاش أحداثا هامة أثّرت في تكوينه وتفكيره بطريقة أو بأخرى وأثّرت في كتاباته من خلال احتكاكه بالعلماء ومجادلتهم ومحاورته الحكام، وصلته الكبيرة ببايات الغرب الجزائري، خاصة "محمد الكبير" وكذلك معاشته حملة أوريلي وحملة اللورد اكسموث الأوروبيتين على الجزائر، وتحرير وهران الثاني، وثورة درقاوة على العثمانيين، ثم عملية الإصلاح في الدولة العثمانية.



ومن خلال حديث "أبو راس الناصر" عن الانجليز والهولنديين
ونابليون والحملة الفرنسية على مصر والشام والأعمال الوحشية
المرافقة لذلك، وما تركته من آثار على الإسلام والمسلمين نتأكد
من ثراء تجاربه المختلفة التي أثّرت في ثقافته ومعارفه.



دفاعه عن الوطن:

كان من المدافعين عن الوطن والدين من خلال اشتراكه في الجهاد
ومقاومته هجومات الإسبان على وهران.. فاكسب بذلك صفة
العالم الحقيقي الذي يهتم بنشر الفكر والعلم ويسهم في الدفاع
عن الوطن.



أبو راس الناصر
مريسة الفنان كمال بتيوي

شهرته:

عُرف "أبو راس الناصر" بالحفظ والفصاحة والانكباب على المعرفة، وتفرّغه للتدريس والفتوى، قام بنشر العلم والمعرفة وتولى منصب القضاء فذاع صيته في الجزائر والمغرب والمشرق.. وبلغت شهرته الأفاق فتوافد على مجلسه العلمي الكثير من طالبي العلم ومحبي المعرفة.



ثقافته:

كانت ثقافة "أبو راس الناصر" ثقافة متنوعة يعززها ذكاؤه الحاد وذاكرته القوية، وطموحه البعيد وعلمه الواسع، وكان أكثر العلماء إنتاجاً في عصره.. حيث فاق جميع المؤلفين كثرة ماعدا السيوطي، كان له إلمام بالتصوف ولم يكن من المتصوفة المتشددین في عصره.

أبو راس شاعراً:

عرف بالشعر أي أنه كان يقرض الشعر وأغلبه كان في المدح.
*يقول أبو راس الناصر في وصف المحكمة والإشادة بمنشآت الباي محمد الكبير:

فلله منهاها الجميل فإنه
يفوق على حكم السعود يمانيا
تمد لها الجوزاء كفّ مصافح
ويدنو لها بدر السماء مناجيا
هي القبة الغراء عزّ نظيرها
تري الحسن فيها مكتسياً وعاريا

ولا عجب إن فاقت الشهب في العلا
وقد جاوزت فيها المدار المضاهيا

بها معمر حاز البهاء وقد غدا
بها القصر قد فاق المباني مباها

ويقول أيضا في تهنئة البايع محمد الكبير بالنصر:
فتم هنيئاً وبك النصر مقترن



وفي فتح وهران وتحريرها من الاسبان يقول:

خليلي قد طاب الشراب المورد



لما أن صار الأمير في الثغر يقصد

ويقصد بالثغر مرسى وهران.



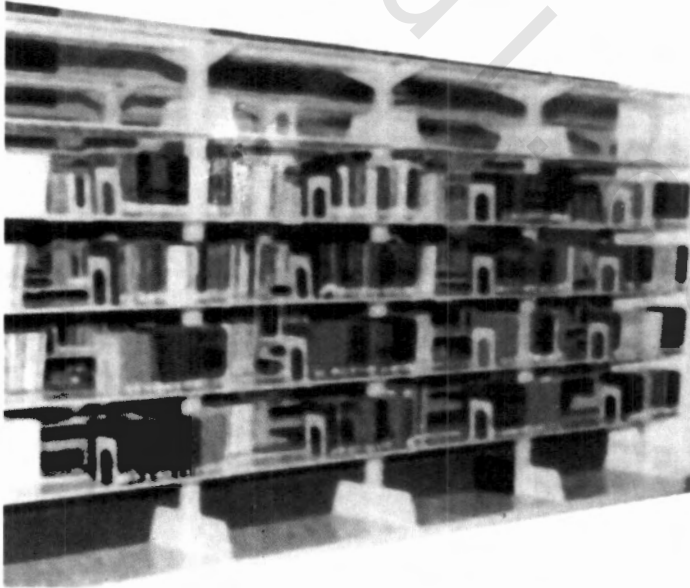
التأليف:

لقد شهد التأليف في عصره حركة نشطة بين العلماء في مختلف العلوم المتداولة من شروح وتعاليق ورسائل وأخبار ورحلات وتاريخ.. إلخ، كما شهد هذا العصر انتشار وتعدد مراكز التعليم المتنافسة في استقبال طلاب العلم والمعرفة.



مكتبته:

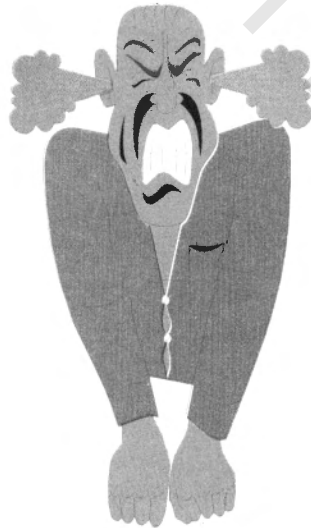
لقد كانت الجزائر خلال العهد العثماني في طليعة البلدان الإفريقية الكثيرة الكتب والمكتبات كما يروي "التمغروطي"، وكما يشهد الباحثون الفرنسيون الذين جمعوا المخطوطات من مكتبات المدن الجزائرية، في تلمسان ومعسكر وقسنطينة، وحسب ما ذكر "شارل فيرو" أن العائلات الجزائرية والمؤسسات الدينية تحتفظ بمخازن كبيرة من المخطوطات الهامة التي تعتبر نواذر فذة في موضوعاتها، وقد أورد شيئا في هذا "البارون ديسلان" في تقريره عن المكتبات بقسنطينة عقب اختلالها وكذلك "أدريان بيربروجر" الذي رافق الحملة الفرنسية على قسنطينة وتلمسان ومعسكر وجمع المخطوطات منها.



إن كثرة المكتبات والكتب وتنوعها وجمالها والعناية بها يدل على تذوق الفنون والعلوم من قبل أهلها وقد صدق المؤرخ "الجبرتي" حين قال: إن مثل هذه الكتب لا توجد حتى في "خزائن الملوك" لندرتها.

وكما يقول الكاتب الفرنسي "لالوي" ان الجنود الفرنسيين قاموا بإرسال الكثير من الكتب كهدايا إلى مكتباتهم المحلية وهذا يدل على أن مصادر الثقافة كانت متوفرة إلى حد كبير. وما أصاب المكتبات إبان الاحتلال الفرنسي من تخريب ونهب وهجرة للعلماء يؤكد ذلك.

ومن هذه المكتبات الكبيرة التي عانت الكثير، مكتبة أبو راس الناصر التي حبسها عليه أحد بايات وهران وسماها (بيت المذاهب الأربعة).



وفاته:

بعد عمر حافل بالعلم والعطاء توفي العالم أبو راس الناصر سنة
1238هـ تاركاً وراءه العديد من المؤلفات.



آثاره:

له نحو الخمسين كتابا في التاريخ والتفسير والمذاهب والتصوف
والنحو والمنطق والبيان والرحلات.. إلخ.

وفيما يلي بعض آثاره:

— لبّ أفيأخي في عدة أشيأخي.

— در السحابة في من دخل المغرب من الصحابة.

— الوسائل إلى معرفة القبائل.

— ما رواه الواعون في أخبار الطاعون.

— حلتي ونحلي في تعداد رحلي.

— الخبر المعلوم في كل من اخترع نوعا من أنواع العلوم.

— الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية (قصيدة وله

عليها شرحان).



— عجائب الأسفار ولطائف الأخبار (جزآن أصلهما قصيدة
في الفتح الثاني لوهران، كل بيت منها عنوان لفصل، نشر بعضه
بجريدة المبشر سنة 1881م وترجم الباقي إلى الفرنسية Arnoud
1885م.

— زهرة الشماريخ في علم التاريخ.

وكتب في تاريخ الملوك السعديين، وملوك بني وطاس، والملوك
العلوية، وعن البربر وبني مرين.

ونسب إليه ابن سودة في دليل مؤرخي المغرب كتاب "أقوال
التأسيس عمّا وقع وسيقع مع الفرنسيين".

وله كتب في الأدب كشرح الحقيقة، وإسماع الأصم، وشعر أغلبه
في المدح كما ذكرنا.





شهادات :

قال عنه الحفناوي :

(يدعى أبو راس الناصر "الحافظ" لقوة حفظه وتمكنه من استحضار المسائل، حتى كأن العلوم كتبت بين عينيه).



أبو القاسم سعد الله :

لقد تحدث المؤرخ أبو القاسم سعد الله كثيرا عن العالم الفقيه أبو راس الناصر، إذ يعتبره من أهم المؤلفين في العهد العثماني بالجزائر، كمؤرخ وموسوعي عايش عصره.. عرف بالكفاءة الفقهية وسعة الاطلاع على الوقائع.



ضمن هذه السلسلة

أبو راس الناصر	الأمير عبد القادر
الكاظمة	الشيخ طاهر الجزائري
تينهينان	محمد العيد آل خليفة
أبوليوس لوكيوس	أحمد رضا حوحو
الخضر حسين	زليخة السعودي
محمد بن شنب	مالك بن نبي
الشيخ إبراهيم اطفيش	مالك حداد
مصطفى بن إبراهيم	رمضان حمود
بقار حدة	الشيخ المقراني
عيسى الجرموني	ابن رشيق المسيلي